

آمال كبيرة بعودة النماء والازدهار إليها بعد توقف التدخل البشري الجائر

وحضاراتهم وتوضح ذلك الآثار والنقوش السومرية المكتشفة.

يعيش اهالي الاهوار الذين يعود نسب اغلبهم الى الحضارة السومرية في بيوت القصب والبردي المبنية فوق المسطحات المائية وبيوت البردي ليست طراز سكن فحسب إنما أسلوب معيشة مع البيئة وتطورات المناخ.

ويشهد مؤلف كتاب «عرب الاهوار» الذي عاصر سكان المنطقة حياتيا والذي يطلق عليهم تسمية «المعدان» على وجود قنوات الري لغاية عهد خمسينات القرن العشرين مرصوفة بألواح خشبية الأمر الذي يقود إلى أسلوب التعامل السومري مع البيئة وتدير شؤون المياه في حالة ارتفاع منسوبها في نهري دجلة والفرات إذ يساعد القصب

الطيور في بناء أعشاشها بخلاف الأسمنت وهكذا تكونت محميات طبيعية من أشجار وطيور وأسماك تعرضت إلى الفتك والتخريب عندما قام نظام البعث بحرق الاهوار في نهاية الثمانينات. والآن تم تأهيل نصف مساحتها تقريبا. وقد حذرت منظمات البيئة الدولية والعراقية من التآهيل العشوائي لهذه المحميات الطبيعية مطالبة استعمال المواد الطبيعية والنااتجة من بيئة الاهوار كالقصب والبردي مشيرة إلى ضرر استعمال الطابوق أو الاسمنت في أعمال إعادة الترميم والتأهيل لهذه البيوت التي تعد من التراث الإنساني.

لقد وافقت منظمة اليونسكو على اعتبار تلك البيوت الخشبية المعلقة تراثا إنسانيا استجابة لطلب سويسرا ونيابة عن ٦ دول أوروبية. وتوجد هذه المواقع في: فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسلوفينيا والنمسا وسويسرا وعددها ١١١ موقعا منها ٥٩ في سويسرا. توجد صلات وشواهد ثقافية وبيئية كثيرة بين تراث هذه المواقع الأوروبية وبين منطقة الاهوار العراقية منها اللقى الأثرية والأواني الخشبية والخزفية والمنسوجات والمجوهرات وتربية المواشي والزراعة في فترة يكتنفها الكثير من الغموض أمام البحث العلمي إضافة إلى الزوارق وسيلة التنقل حينذاك ولا تزال مستعملة في أهوار العراق وبأنواع كثيرة ومختلفة.



• امرأة في نهر دجلة



• طبيعة

كيلومتراً مربعاً. الاهوار الواقعة غربي دجلة واهمها هور الحمار الذي تبلغ مساحته نحو ٢٤٤١ كيلومتراً مربعاً. اهوار الفرات التي تمتد من الخضر الى الكفل بين فرعي الفرات «الحلة والهندية». وتتألف من عدد من الاهوار الصغيرة.

لقد تراوحت تقديرات المساحة الإجمالية للاهوار بين ٩٠٠٠ و٢٠٠٠٠ كيلومتر مربع وتبلغ مساحتها بحسب تقديرات أخرى على أساس وحداتها الإدارية الصغرى والبالغة ٢٠ ناحية ضمن المحافظات الثلاث التي تقع فيها منطقة الاهوار وهي محافظات «ميسان - ذي قار - البصرة» التي تعتبر مراكز التوازن المكاني والسكاني فيها.

ويعيش سكان الاهوار في جزر صغيرة طبيعية أو مصنعة في الاهوار ويستخدمون نوعاً من الزوارق يسمى بالمشحوف في تنقلهم وترحالهم. لاهوار تأثير إيجابي على البيئة فهي تعتبر مصدراً جيداً لتوفير الكثير من المواد الغذائية من الأسماك والطيور والمواد الزراعية التي تعتمد على وفرة وديمومة المياه مثل الرز وقصب السكر.

ويعتقد البعض أن المنطقة هي الموقع الذي يطلق عليه العهد القديم «جنات عدن». وتشير الدراسات والبحوث التاريخية والأثرية إلى أن هذه المنطقة هي المكان الذي ظهرت فيه ملامح السومريين

وحسب التقديرات فر ما يزيد على ٧٥,٠٠٠ من عرب الاهوار إلى إيران بينما استقر نحو ١٠٠,٠٠٠ منهم في أماكن أخرى من العراق.

كانت الاهوار العراقية تشكل في السابق أكبر الأراضي الرطبة في جنوب شرق آسيا حيث كانت تغطي أكثر من ٢٠,٠٠٠ كيلومتر مربع. وكانت تشكل بذلك نظاماً إيكولوجياً «بيئياً» ذا أهمية أساسية بالنسبة للبيئة الطبيعية والحياة البشرية في المنطقة إذ توفر منطقة وقاعدة أساسية للعيش.

كانت الاهوار تمثل - بفضل احتوائها على تنوع بيولوجي وثراء ثقافي هائل- مستوطنة دائمة للعديد من أنواع الطيور ومكاناً تقصده الطيور المهاجرة ضمن أماكن هجرتها الموسمية. كما كانت توفر منطقة سكن لأسماك الخليج التي تعيش في المياه العذبة. وتاريخياً كان يتم تنقية المياه من المخلفات والمواد الملوثة في نهري دجلة والفرات عبر الاهوار ما يحول دون تدهور ساحل الخليج. تقع منطقة الاهوار بين دائرتي عرض ٣٠° و ٥٠° ٣٢ شمالاً وبين الحدود الإيرانية من الشرق وحافة الهضبة من الغرب.

وتقسم جغرافياً إلى مجموعتين: مجموعة الاهوار الواقعة شرقي نهر دجلة واهمها الحويزة وتبلغ مساحتها داخل العراق نحو ٢٨٦٣

والوادية والصحين وبريدة وغيرها وهي كالأهوار في الناصرية اما كانت مغمورة في الهور وإما محاطة بمائه. وهناك تجمعات سكانية حديثة أقيمت في الهور على التلال الأثرية حيث ترى قطع الفخار وكسر الأجر القديمة منتشرة عليها كما في منطقة الجبايش.

ويذكر العاملون في حقل النفط في الاهوار ان مكائهم كانت اثناء عملها تستخرج كسر الفخار من اعماق مختلفة وقد وردت معلومات في نص سومري يؤكد قيام السومريين بشق الجداول وكذلك استصلاح بعض الاراضي من الملوحة التي ظهرت بوادرها بحدود عام ٢٤٠٠ ق.م واستمرت زمناً طويلاً بعد ذلك كما هو معروف في وسط العراق وجنوبه. كل ذلك يؤكد ان مناطق الاهوار كانت ارضاً يابسة عاش

عليها العراقيون وزاولوا نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية وبنوا حضارتهم العتيقة كما في باقي أجزاء العراق. لقد تعرضت هذه الاهوار التي حافظت على سحرها وعظمة بقائها لآلاف السنين للتجفيف في تسعينات القرن الماضي وتحديداً بعد انتفاضة عام ١٩٩١ أو ما يعرف بالانتفاضة الشعبانية عقاباً لسكان الاهوار الذين قاموا بانتفاضة ضد الديكتاتور صدام حسين. ولم يتبق سوى ٤٪ من اجمالي مساحتها بعد تجفيف ٩٦٪ منها.

بدء التجفيف

لقد بدأ تجفيف أكثر من ٩٠٪ من المساحة الأصلية للاهوار منذ عام ١٩٧٠ بسبب إنشاء السدود في أعالي الأنهار وعمليات التجفيف المنهج. ونتيجة لذلك أصبح جزء من هور الحويزة على الحدود مع إيران هو كل ما تبقى من الاهوار حتى عام ٢٠٠٠. كما أن المجتمعات المحلية لم تسلم هي الأخرى من الضرر الذي نتج عن تخريب بيئة الاهوار. وبالإضافة إلى ذلك تعرضت الكثير من مساكن وسبل عيش العرب الذين يقطنون الاهوار للتدمير في تسعينات القرن الماضي من خلال هجمات منظمة ضد مجتمعات الاهوار المحلية ما أجبر غالبية سكانها على مغادرة المنطقة.



• حركة ازدهار